المدرسة الخاصة لفن العمارة (ESA)

٢٥٤ جادة راسپاي، ٧٥٠١٤ پاريس

شهادة دراسات تخصصية (DES - ESA)

تم تقديم و مناقشة الأطروحة علنياً

في ٢٤ نيسان ٢٠٠٨ في ال (**ESA**)

كلود يعقوب

دمشق ٢٠٦٢

المؤقت، سيناريو الممكن

مدير البحث: كريس يونس

دمشق ٢٠٠٨ / دمشق ٢٠٦٢

"دمشق ٢٠٠٨، عاصمة الثقافة العربية"، حدث مُلهِم، سوف يكون بمثابة لوح القفز لنصف القرن الحالي من الحملة المدنية المستدامة التي أرغب القيام بها في دمشق القديمة. دمشق، ألفية و معاصرة، مدينة من شرق يغلي، انعكاس لعالم مُنزاح، مليئ بالمفارقات، تماماً على صورة الناس، بين تاريخهم و حياتهم المعاصرة. مختبر تساؤلات (كل ما هو "إشكالي" بالنسبة للمدينة حاضر فيه) و أيضاً أجوبة محتملة، بشرط أن تُطرح الأسئلة الصحيحة، في الوقت المناسب. مصغر حقيقي عن العالم، تعاني هذه المدينة من جميع عوارض المدينة بحالة أزمة، من "تمدُّنات" مريضة. توجد دمشق في إحدى الناطق الأكثر "سخونة" في العالم؛ فهي بالتالي نقطة جغرافية سياسية شديدة الحساسية، مركز لمصالح خاصة، و مركز لزلزال سياسي باطني و دائم.

كل لحظة تمر هي كمثل هزَّة للمجتمع، تترك آثاراً تكاد تكون غير ملحوظة و لكنها عميقة لدرجة أن عقوداً تلزم لإعادة بناء ما أبادته كل هزَّة. توجد هنا حالة طوارئ و حالة عدم طوارئ. حالة الطوارئ تتعلق بطريقة التفكير، التصوُّر، طريقة التعامل مع الإجراءات التي يجب اتخاذها و ليس بالواقع المادي المحسوس. فإذاً يجب علينا أن لا ننتظر الطامة الكبرى كي نتصرف، أو كي نضع الخطوط الأولى لهدف مُجدِّدٍ على الأقل. هنالك حاجة مُلِحّة لمداخلة فكرية، بتروٍّ و على المدى البعيد. فإشكاليتنا هنا تُطرح، و بشكل شبه طبيعي، على أساس الإطار أو الظرف (contexte) المحلي المباشر و التصرف الإجمالي المستقبلي. و كما يدلنا أصل كلمة ظرف (contexte) باللاتينية، "الحياكة معاً"، هذا يؤدي بنا مباشرةً باتجاه ذلك التساؤل الحيوي حول ماهية "المشترك"، بين بعضنا البعض و في نفس الوقت. فالأمر إذاً لم يعد فقط يدور حول "ما يوجد" و إنما بالأخص "ما يأتي مع" هو الذي يطرح نفسه. ما هي الطريقة المناسبة للتصرف في مثل هذه البيئة الحساسة و المحمية؟ كيف لنا أن نُمرِّر رسالة الإستدامة إلى مجتمع يفتقد المرجعية؟ أن نبني مدينة أُخرى فوق تلك القديمة العريقة (رقوق، طبقات، شفافيات، أوراق، الخ.)؟

فرضيتنا تقترح إقامة مشروع اعتباراً من مبدأ "المثالية" (utopie) وتفعيله من خلال مبدأ "الوقتيّة" (المؤقت). هذه المعالجة الفكرية هي بمثابة محاولة لحل مشكلة تبدو مستحيلة الحل و سوف تعتمد، ، على فكرتَيّ الوقت و المؤقَّت.

يُطرح مبدأ "المثالية" أو "الحلم المبني" (utopie) كعمل إنساني عادل و مُبرَّر. خروج ملائم من الأزمة؛ معتدل بالنسبة للعالم غير المستقر و الذي نعيش به، جواب بديهي على أسئلة فن العمارة و المهندس المعماري، متناوبة ما بين الرؤية و التطبيق العملي. إن التنمية المستدامة، و التي تمثل بحد ذاتها حلما مثاليا جديدا، تمثل رهانا حيويا في بداية هذا القرن بالنسبة لكوكب يعاني من افتقاره المساواة، المشاركة و الأخلاقية.

تحليل "الأحلام المبنية" (utopies) المتعلقة بنا بغاية الوصول إلى حلم ممكن، مُتَبنى من قبل الجميع و لأجل الجميع في مكان فريد. طرح فكرة الإستدامة من خلال هكذا حلم تبدو كمثل التحدث عن الخيال العلمي أمام رجل من الصحراء، شيء بعيد كل البعد عن همومه اليومية، الأساسية، الحيوية و الناتجة أساساً عن مجتمع متجمد. فيه وجها الحياة، العام و الخاص، مُكبّلان بشكل كامل: ليس هناك أدنى تحرك أو تغيير ممكن طرحه، فإذاً يظهر الاقتراح المؤقت كبديلٍ متماشٍ مع هذه البيئة الضيِّقة. لأن المشروع المؤقت لا يخيف أحداً، لا المسؤولين و لا الممثلين. و كونه أيضاً ذو طبيعة "فنية"، فهو ينجو من سهولة الحكم عليه بشكل سلبي، و ذلك لخفة مقاربته و عدم ماديته الزمنية: فيعتبر بذلك غير مؤذ.

فلهذا نريد فهم و تحليل "الوقت"، بدءاً بمعانيه و مفاهيمه و وصولاً إلى علاقته مع المدينة. مما يصل بنا إلى غاية مفهوم "المؤقت" الشديد الأهمية في حالتنا هذه. فالمؤقت يصبح أداة مداخلة بهدف تمرير "الحلم المبني" إلى بر الأمان، إلى الواقع. إنه عامل تواصلات معاصرة و تطلعات مستقبلية تؤدي إلى مساحات من الحرية، قد تؤدي بدورها إلى ثورات شخصية. تفجر داخلي، إعادة نظر في الذات لدى كل مواطن قبل مهاجمة المجتمع بأكمله. للفرد مسؤوليته، ضميره، مساحته، التزامه... فإعادة حب تذوق هذه القيم يسمح بالتفكير بتطلع مشترك نحو المستقبل و إعادة مكانة الإنسان إلى مركز آلية الثورة.

"دمشق ٢٠٠٨، عاصمة الثقافة العربية" تُطرح إذاً كحدث معاصر يشبه المعجزة في مكان مُكبّل على الصعيدين السياسي و التقافي. يتوجب علينا الإستفادة من هذه الفرصة الفريدة كي نمرر أول رسالة، كي نطلق أول عمل. هدفنا، خلال هذه السنة المليئة "بالإحتفالات"، هو أن نُدرج في المدينة، بحركة بسيطة و قوية، تصرفا أو عملا مواطنيا، (و هنا نعود للدور الأساسي لمهندس العمارة في ال "polis"). حدث يُفترض أت يتميز بالنسبة للعديد من التظاهرات الثقافية مع الإستفادة في نفس الوقت من ديناميتهم. من خلال "أبواب الممكن"، تنصيب فني مؤقت في مدينة دمشق القديمة و في وقت دمشقي محدد، سوف نُحرض على كتابة سيناريوهات هدفها الوصول بنا إلى "عرض تصورات"عن حلم "utopie" ممكن تنفيذه في سنة... ٢٠٦٢ !

يتم هذا التنصيب بنشر مجموعة من المرايا في جميع أرجاء المدينة القديمة بهدف اقتراح احتمالات لخطوط التجوال، التعرف على الطريق كي يعود السائر و يضيع في متاهة من الشرايين المدنية و البشرية. و يكون هذا التنصيب معتمدا على انتقال نظر المتجول: تَغَيُّر زاوية النظر، اتجاه آخر للمنظور، شد الإنتباه إلى زوايا غير مرئية مهملة الأهمية، انعكاس غير متوقع لصورة السائر، الخ... و بهذا، نباشر بعملية بناء افتراضية، كخطوة أولية باتجاه اعادة تشكيل الواقع. عملية عرض بشكل آخر، بتحرر، بخفّة، لها سبب، متوازنة؛ حالمة و بنفس الوقت مُستدامة. مدينة أُخرى سوف يبنيها سكان المدينة المحليون و الآخرون العابرون، بين تلك المرايا الكاشفة، نظراتهم المتنقلة و انطباعاتهم التي ستخط الخطوط الأولى نحو غدٍ أكثر انفتاحاً. و

بذلك سوف يكتبون بأنفسهم سيناريوهات هذه المدينة الغير مرئية، كمثل حفر جديد على لوح رقّ. كتابة "دمشق ٢٠٠٨ حتى دمشق ٢٠٦٢" ستكون بذلك الناتج من عملية بحث طويلة متمحورة حول الإنسان ضمن وفي مركز الوسط الذي يعيش فيه، في داخل هذا المجتمع المسكوني الموحِّد و عند مُلتقى توضعه في المكان و في الزمن.